الناس والتاريخ

محمد عبدالغني مصطفى

■ في عصرنا الحاضر حيث نعيش معركة تتعدد جبهاتها وتكثر ميادينها مع انفسنا مرة، ومع عدونا مرات نتلمس فيها كل سلاح ونجمع لها كل عدة.

وفي الشدائد تصهر النفوس، وتزكى الحواس، وتشحذ الهمم وتعود الأمم الواعية إلى جوهرها الأصيل وتراثها الحي لتستلهم منه التجارب والعبر، وتتلمس منه الظروف المشابهة لظروف محنتها علها تجد في تاريخها مايشفي النكسة ويزيل آثار الضوائق والأزمات.

اقــــرأوا تـــاريـــخ إذ فـــيـــه الـــعـــبـــر
ظـــل قـــوم لـــيـــس يـــدرون الـــخـــبـــر

وليس كأمة الإسلام أمة في عراقة التاريخ ورفعة الأمجاد وخصوبة التجربة، فلنا من أمجاد آبائنا الأولين وآيات تاريخنا الفذ ما ينفذ من كل ضيق ويفرج من كل كرب.

وآية الآيات في تاريخ الإسلام كله بل والتجربة الأم في هذا التاريخ المجيد أنه بالعقيدة أولا انتصر هذا الدين وعزت هذه الأمة فكلما عقدنا القلب على الإيمان بالله ورسوله في كل فترة من زمن انعقد لنا لواء النصر دائما، وكلما اهتزت القلوب على هذه العقيدة اهتزت تصاريف المحن كقطع الليل المظلم لابدري أولها من آخرها.

ويبحث الباحثون ما ويفكر المفكرون فلا يجد هؤلاء وأولئك غير طريق واحد وهو وحده الذي يأخذ باليد إلى فجر النصر والغد المظفر في ظل هذه العقيدة، فهي وحدها التي ترشد من ضلال وتهدي من حيرة وصدق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي قال: «إني تركت فيكم أمرين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي».

ولقد كانت التجربة الأولى وحدها كافية لتصب في قلوب المسلمين في كل زمان ومكان معاني النصر والغلبة على عدوهم مهما كان هذا العدو ومهما كانت ضآلة استعدادنا له.

لقد خرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من قلب الصحراء، وسط ظلمات الجاهلية وحيدا أعزل لم يكن له رجال أو سلاح ولم يكن له مال يستعين به لو أراد.

خرج منذ البدء صلوات ربي وسلامه عليه وهو رجل لا ليعيد دولة أو يسقط نظاما كما نحاول ونحن أمة، بل ليؤسس دولة ويصلح نظاما وينشر دينا.

ونجح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو فرد فيما لا تنجح الأمم بثرواتها فيه، ولكنه نجح لأنه دعا إلى الإيمان وآمن به رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وإخلصوا قلوبهم لله وأدوا ما يقتضيه الإيمان من عمل ومن إخلاص وصدق فلم يلحق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بربه حتى كانت دولة الإسلام قائمة ترفرف لها رايات ويقوم عليها رجال.

وتجربة ثانية حين خرج التتار من أطراف الصين شرقا واجتاحوا الدولة الإسلامية العريضة من الشرق في زحف لم يشهد له التاريخ مثيلا حتى وقفت جموعهم على أبواب مصر المسلمة لتقضي بها على آخر معاقل الإسلام ويقابا حصونه في ذلك الوقت

ولم يجد المسلمون طريقا غير الاستسلام بحيل الله والخروج إلى التتار معتصمين بربهم ملتزمين دينه ودارت رحى المعركة.

ويهمنا رأينا الملك المظفر يخلع خوذته لينزل عن فرسه إلى الرماح عاري الرأس وهو يصيح صيحته و إسلاماه فلم تكن إلا هجمة واحدة حتى انحدر العدو وانتصرت رايات الله.

فوا إسلاماه من جديد لنعيدها ولنبعثها عالية من القلب إلى قلوب المسلمين جميعا فنرفع بها الكبوة ولنسمع بها غبار العار عن جبين الإسلام والمسلمين، و إسلاماه ليقلها كل مؤمن في قلبه وليتعلم كيف يقولها فليست قولة اللسان وحدها هي التي تجلب النصر إنما عقيدة القلب وعمل اللسان.

كفانا تباطؤا، وكفانا توانٍ، فلا حاجة للكلام وخير الكلام ماقل ودل، ولا حاجة للصيحات التي تقرع ضماخ الآذان وتفرغ في قلوب فارغة جوفاء.

فدع القريض وخل الطرس والقلما وهات سيفك واصحق كل من ظلما
كفى نحيبا، كفى بثا كحفي ولها كفى ضلالا كفى لغوا كفى كلما
ولا حاجة أيضا للتعصب فالنصر للإسلام وليس للعرب، النصر للمؤمنين وليس للمشتدقين، النصر لله للمتمسكين بالدين وليس للمتخلين عن الدين.

فالملك المظفر لم يكن عربياً بيوم انتصر ودحر قوى الشرك، وصلاح الدين ذلك الرجل الذي أفاعيل بالصليبيين لم يكن عربيا، وبلال العبد الأسود لم يكن كذلك، وسلمان - سلمان منا أهل البيت - لم يكن عربيا وعمار وزيد وسمية أول شهيدة في تاريخ الإسلام، وغيرهم من الأبطال كثير، لم يكونوا عربا.

إنما تشرفوا وعلوا وتقدموا وانتصروا وفازوا ونجحوا وأسسو بالإسلام وبالإيمان وبالدين الحنيف.

■ **الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأصلي وأسلم على نبينا، محمد وعلى آله وصحبه صلاة وتسليما كثيراً.**

أما بعد ...

أخي القارئ الكريم: إن ما نراه من تضارب وصراع شديد في الساحة الإسلامية والعربية حول السعي للإطاحة بالحكومات من قبل بعض أفراد شعبها؛ وبأصح العبارة من بعض أحزابها.

ورأينا لبعض الدول حالاً عجيباً بعد الإطاحة بحكامها: حيث بقيت بدون قائد ولا إمام بعد الإطاحة ، فأمة بلا قائد سفينة بلا ربان، وباخرة بلا قبطان، وميدان رحب للشيطان، وشعوب بلا أمير: شعوب ضائعة، وفئات متصارعة: تعظم فيها البلوى، وتسود الفوضى، ويعم الدمار، وتحدق الأخطار، ويستأسد الأشرار، وتستنسر البراغيث، ويعربد الفجار، لا خوف يردع، ولا نظام يمنع، ولا جيار يخضع.

إن الأمة تُولد ميتة إذا كانت بلا إمام ولا زمام ولا أحكام، فالولاة هم صمام أمان، وحراس البلدان، ويزع الله بهم مالا يزع بالقرآن.

قال العز بن عبد السلام - رحمه الله: «وأجر الإمام الأعظم أفضل من أجر المفتي والقاضي -يعني القاضي- لأن ما يجلبه من المصالح ويدرؤه من المفاسد أتم وأعم». هـ.قواعد الأحكام من مصالح الأنام ج1 ص١٠١ ط مؤسسة الريان، بيروت.

بقلم الشيخ/
معاذ عبد الرحيم طارش الذبحاني
داعية إسلامي

الرد الواضح على شبهات القائلين بالخروج على الحاكم

ولقد اجتمع في زماننا هذا أمران:

- غلبة الجهل بهذا الأمر، تفشي الأفكار المنحرفة فيه؛ فوجب على أهل العلم وطلبته الالتزام بالميثاق الذي أخذه الله عليهم في قوله - تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ × إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠].

فليبنوا هذا الأصل العظيم محتسبين لله - تعالى -، مخلصين له أعمالهم، ولا يمنعهم من بيانه الشبهات الخطافة المتهافتة، التي يروجها من أشرب قلبه بهذه الشبهات المارقة.

ولقد طلب مني أحد الفضلاء كتابة أهم الشبه التي يروجها هؤلاء، والرد عليها، فاستحسنت هذا الرأي؛ حيث إنه نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله - تعالى -، درءاً للفتنة التي نشبت بين المسلمين، وحفناً لدمائهم، ولحمة لصفوفهم، وزيادة لقوتهم وإغاظة لعدوهم.

وانطلاقا من هذا المبدأ فإني أضع بين يدي إخواني بعض وأهم ما طرح من شبهات، والرد عليها وبالله التوفيق:-

الشبهة الأولى :

استدل من قال بجواز الخروج على الحاكم المسلم الظالم أو الفاسد بحديث كعب بن عجرة - رضي الله عنه - قال: «خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن تسعة، فقال: (إنه ستكون بعدي أمراء من صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم؛ فليس مني ولست منه، وليس بوارد علي الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه ، وهو وارد علي الحوض)» رواه أحمد والنسائي، وصححه الألباني .

ووجه استدلالهم: أنه من لم يخرج عليهم فهو راض على ظلمهم، ومصدق بكذبهم، وبناءه الوعيد الذي ذكره النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ بأن ينطبق عليه قولَه - تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣].

الرد عليها:

قوله - صلى الله عليه وسلم -: «من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم...»؛ لا يعني الخروج عليهم، ونزع يد الطاعة عنهم؛ حيث إن بُغض الكَذب والظلم شيء، ونزع يد الطاعة شيء آخر، وذلك كما قال - صلى الله عليه وسلم: «سيكون بعدي أمراء، تعرفون وتنكرون، فمن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع قالوا: (أفلا نناجزهم بالسيف ؟)، قال: (لا ما أقاموا فيكم الصلاة)»، رواه مسلم.

وقد وضح النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا التفريق والتفصيل في حديث عوف بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «... ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة. «أخرجه مسلم.

فانظر أخي القارئ: كيف فرق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين الكراهية للمعصية التي تصدر من الحاكم، وبين نزع يد الطاعة التي تسعى ويطلق عليها في زماننا: (إسقاط النظام).

فإن قيل لك: هي ظلمٌ وبالظلم والكذب؛ فقل: لا أرضى بشيء منه مما قل منه أو كثر، وبالمقابل لا أنزع يداً من طاعة ولي الأمر، طاعة لله ورسوله.

وأما الاستدلال بقوله - تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ فهذا من جنس ما ذكرناه آنفاً: إن الركون إليهم يكون بإعانتهم على ظلمهم، وتصديقهم بكذبهم، وحب ذلك، والرضا بما هم عليه، وبحمل الكذب هو الحق والحق هو الكذب، أما بغض هذه الأشياء، والتحذير منها بالطرق الصحيحة مع عدم الخروج عليهم ونزع يد الطاعة فلا يُعد من الركون إليهم، كما فصّل في ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حديث عوف بن مالك المذكور آنفا، قدرةً للمفسدة الكبرى بضُرر على المفسدة الصغرى؛ إذ بالخروج عليهم تزهق الأرواح البريئة، وتفتح الفتن فتحاً يصعب إغلاقها.

ومن جهة أخرى نوضح لهؤلاء أن هذه الأدلة وغيرها إنما هي أدلة عامة أو مطلقة، وقد أتت أدلة أخرى ونصوص مخصصة ومقيدة لها، وعند تعارض الخاص مع العام يقدم الخاص بلا خلاف؛ حيث إن الخاص أو المقيد يوضح ويبين ما أبهم من الأدلة العامة والمطلقة، وبالله التوفيق.

الشبهة: الثانية:

استدل القائلون بجواز الخروج على الحاكم الذي طرأ عليه فسق بقوله - صلى الله عليه وسلم: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» رواه أحمد وغيره وصححه الألباني.

قالوا: فكلامنا على الحاكم في الخطب والمنابر والصحف والمجامع والمظاهرات، والخروج عليه - أيضا - نوع من الجهاد؛ بل من أفضل الجهاد.

الرد عليها:

قوله - صلى الله عليه وسلم: «... عند سلطان ...» لا دلالة لهم فيه؛ لأن كلمة: (عند) ظرفية محلها أمامه وبين يديه؛ فأنت قد بذلت نفسك لله، وصرت وجاهزاً للقتل، والقتل يكون عليك وحدك فقط لا على غيرك، فلا تكن في الحصون المنيعة.

وهذه الكلمة - أيضا- لا بد أن تكون بالتي هي أحسن؛ كما قال الله لموسى وأخيه في شأن فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]. فلا بد أن تكون هذه الكلمة مع الكلمة الطيبة، وأن تكون - أيضا - سرا كما أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: «من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية، وليأخذ بيده وليخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا فقد أدى الذي عليه» صححه الألباني في ظلال الجنة.

وهكذا السنة توضح بعضها بعضاً، فإذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو الموضح والمبين لكيفية كلمة الحق عند ذي سلطان جائر، فلا يحق لأحد من الخلق أن يوضحها خلافا لما وضحه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا جاء؛ تهر الله بطل نهر معقل، لكن العجب ممن يستدلون بهذه الشبهة، ولا يقفون أمام السلطان ويقولونها؛ بل يختبئون في ملاجئهم وقصورهم ثم يدفعون بالشباب المغرر بهم للتصرفات غير المسئولة وبلا شرعية، وهم متمترسون من وراء الجدر، ويصفون أنفسهم بأنهم في أفضل الجهاد كحمرة سيد الشهداء!!!!!

الشبهة الثالثة:

زعم القائلون بجواز الخروج على الحاكم الفاسد أن الأحاديث المانعة من الخروج على ولي الأمر إنما هي خاصة بولي أمر المسلمين العادل القائم بشرع الله؛ أما من لم يتصف بالعدل فوجب الخروج عليه، واستدلوا بقول عمر بن الخطاب من على المنبر: «أيها الناس اسمعوا وأطيعوا، فقال سلمان: لا سمع ولا طاعة لك يا عمر، فقال عمر له: ما يا سلمان، فقال سلمان: من أين لك هذا الثوب؟ فقال عمر: قم يا عبد الله فاخبره، فأخبره عبد الله أنه أعطى لوالده متوين من القماش، وكان مع أبيه متران آخران؛ فصمت به ثوبا، فقال سلمان: أما الآن نسمع ونطع».

واستدلوا - أيضا - بأثر آخر لعمر أنه قال على المنبر: «أيها الناس اسمعوا وأطيعوا فإن رأيتم فيَّ اعوجاجا فقوموني، فقال رجل: لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناك ولو سيوفنا ».

الرد عليها:

أولا: أما الأثران الواردان عن عمر فلم يصح منهما شيء، فقد ذكرا في بعض كتب التواريخ والسير بلا إسناد، وذكره ابن الجوزي في صفوة الصفوة (٢/٣٠١) عن أبي حاتم عن العتبي وذكر القصة، وهو منقطع؛ لأن العتبي لم يدرك عمر ولا من من أدرك عمر.

ثانيا: لو فرضنا أنه صحيح، فإنه يعارض الأحاديث الصحيحة التي تأمر بالصبر والمناصحة، وتنهى عن الخروج والمنابذة بالسيف، ولا يجوز العمل بقول يعارض نصا من كتاب الله أو من سنة النبي - صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «إنكم ستجدون بعدي أثرة وأمورا تنكرونها ، فاصبروا حتى تردوا عليَّ الحوض» متفق عليه. فقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - «أنها ستكون من الأمراء أثرة، وفي استئثارهم وأخذهم للمال العام للمكتوم الخاصة، بل وفوق هذا -أيضا- أمور تنكرونها من مظالم ومخالفات، فكل هذه الأوصاف لا يتصف بها أهل الورع والعدل من الأئمة؛ ومع هذا أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالصبر، لكن مع وجود النصح كما بينته في الرد على الشبهة الثانية ، وكذلك في حديث عوف بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ، ولا ينزعن يداً من طاعة».

وهنا - أيضا - وضح فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - حرمة الخروج على الحاكم ولو كان له معاصي ومظالم، وقد استشكل هذا الأمر على الصحابي عدي بن حاتم - رضي الله عنه - فقال: «يا رسول الله لا نسألك عمن اتقى، ولكن عمن فعل وفعل - فذكر من الشر - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الله واسمعوا وأطيعوا)» أخرجه ابن أبي عاصم في السنة وصححه الألباني.

فكل هذه الأحاديث وضحت أن الصبر على الولاة مع المناصحة ليست لأهل العدل منهم فقط، بل حتى لمن جار وظلم، وإلا فلماذا يقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «اصبروا» وفي حديث آخر: «اتقوا الله واسمعوا وأطيعوا»، فعلى ما يصبرون؟ هل يصبرون على عدل الولاة الذي هو نعمة ، أم على جورهم الذي هو مصيبة ونقمة؟

بالتأكيد الصبر لا يكون إلا على المصائب، لا على النعم، فالنعم تقابل بالشكر، ولا تقابل بالصبر، وقد قال الإمام النووي - رحمه الله - في شرح مسلم ج ١٢ ص ٢٢٩ : «وقد أجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينعزل وحُكي عن المعتزلة - أيضا - فغلط من قائله، مخالفة للإجماع، قال العلماء: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه هو ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه ».اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في مجموع الفتاوى (١٢/٣٥) :«وأما ما يقع من ظلمهم وجورهم بتأويل سائغ أو غير سائغ فلا يجوز أن يزال: لما فيه من ظلم وجور كما هو عادة أكثر النفوس تزيل الشر بما هو شر منه».

الشبهة الرابعة:

قالوا: إن تحريم الخروج على ولاة الأمور خاص بالخروج المسلح، أما غير المسلح فجائز.

الرد عليها:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فمات إلا مات ميتة جاهلية» رواه مسلم.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في فتح الباري ج ١٣ ص٩: «قال ابن أبي جمرة: عبّر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالشبر وهي: كناية عن حل عقد البيعة، ومفارقة السلطان ولو بادنى شيء» .اهـ. قلت: انظر إلى قوله: ولو بادنى شيء، أي: سواء بالخروج المسلح أو بالكلام فقط، وإذا مات على ذلك مات ميتة جاهلية؛ لأنه مات وليس في عنقه بيعة؛ لعدم اعترافه بالإمام، والرسول - صلى الله عليه وسلم - يوضح من هذا حاله بقوله: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهلية» رواه مسلم .

وقال الحافظ - أيضا - في الموضع نفسه: «وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء»، وسبقه الإمام النووي - رحمه الله -في نقل هذا الإجماع كما بيناه أعلاه، فها هم علماء الإسلام أجمعوا على حرمة الخروج مطلقا ولم يجيزوا الخروج المسلح ولا غير المسلح؛ لعموم الأحاديث النافية عن ذلك، ومن قال بالتفصيل السابق نقول له: «قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين»، بل إن قوله - صلى الله عليه وسلم: «... فمن فارق الجماعة قيد شبر...» : فيه حرمة الخروج اليسير ولو بالكلام فقط سداً لذريعة الفتنة وقتل الأبرياء، المترتب على هذا الخروج، والواقع الحالي خير شاهد على ذلك، وكذلك المستقرئ للتاريخ يجده حافلاً بذكر هذه الأمور، وأن الخروج على الحكام لم يجر على المجتمعات سوى النكبات وإراقة الدماء.

الشبهة الخامسة:

دعا القائلون بالخروج على الولاة إلى العصيان بأنواعه كالعصيان المدني وأردفوه بالعسكري مستدلين بما حصل في صلح الحديبية من امتناع الصحابة عن حلق رؤوسهم بعد الصلح، وعن العودة إلى المدينة دون أن يؤدوا العمرة التي قدموا من أجلها.

الرد عليها:

أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إنا لله وإنا إليه راجعون من سوء الأفهام، لكن هناك أسئلة تطرح نفسها أمامهم:

السؤال الأول: هل الصحابة في تصرفهم هذا وامتناعهم عن تنفيذ أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - مصيبون أم مخطئون؟

فأنتم بين الامتناع وأيدهم، أم غضب من ذلك؟

السؤال الثاني: هل النبي - صلى الله عليه وسلم - أقرهم على هذا الامتناع وأيدهم، أم غضب من ذلك؟

لا يشك من عنده أدنى معرفة في أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنكر ذلك، بل قال: « مالي أمر فلا أطاع إني خشيت عليهم الهلكة»، أو كما قال - صلى الله عليه وسلم - ، وحلق النبي - صلى الله عليه وسلم - ونحر الهدي.

السؤال الثالث: هل النبي - صلى الله عليه وسلم - أبطل صلح الحديبية استجابة لطلبهم، أم مضى في الصلح؟

لا شك أنه مضى في الصلح ولم ينقضه؛ بل وتابعه الصحابة بالمضي فيه.

السؤال الرابع: هل الصحابة أصروا على قولهم، أم تمت تراجعوا وندموا من هذا التصرف؟

من المؤكد أنهم تراجعوا، وندموا على تصرفهم؛ بل كان من أشد المعترضين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، ولقد قال بعدها: اتهموا الرأي بالدين، ولقد رأيتني يوم أبي جندل وأنا أراجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

إن المتأمل لما ذكرناه لا يشك في خطأ المستدلين بهذه الواقعة على جواز العصيان المدني وغيره من العصيان لولي أمر المسلمين، ولما ثبت - أيضا - عن فضالة بن عبيد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: « ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصيا، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده، وعبد أو أمة أبق عن سيده ومات أبقا» أخرجه أحمد وابن حبان، وصححه الألباني والشيخ مقبل في الصحيح المسند.

فمن قال بالعصيان بأي نوع من أنواعه فهو داخل تحت هذا الوعيد الذي حذر منه النبي - صلى الله عليه وسلم -، فلا تسل عن هلكة هؤلاء، وعما سيلاقون من البلاء في العاجل أو الآجل.

نسأل الله السلامة والعافية والسداد، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

لغة الخطاب الإسلامي

■ الحديث عن لغة الخطاب الاجتماعي في الإسلام يضعنا أمام موقف حرج للغاية كوننا استبدلنا اللغة الأصلية والمسئولة في طرحها والنموذجية في وسائلها بلغة مغايرة وبعيدة كل البعد بكل ما تحمله الكلمة من معنى ذلك أن لغة الخطاب السياسي والإرشادي وحتى السلوكي بين مختلف أفراد المجتمع تعتريها الكثير من الإساءات الأخلاقية وألفاظ التشدد والغلظة والقساوة ناهيك عن معاول التشهير والتجريح والقذف للآخر.

محمد علي السمحاني

ونظرا لأهمية اختيار لغة الخطاب في الإسلام فإننا نجد أن أعظم نعمة أولاها الله لنبيه داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام هي نعمة القول الفصل والرأي السديد والكلمة الصادقة وهذا ما نجده في قول الله تعالى: «وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب» ويتأكد هذا المضمون في الاستجابة الإلهية لدعوة نبيه موسى عليه السلام عندما قال: «وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي» فكانت الاستجابة الإلهية لموسى في أن يجعله فصيح اللسان كامل البيان عندما قال: « قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى » وفي آية أخرى « وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا» لنتعلم من مفهوم هذه الآيات أن لغة اللسان رسالة هامة ومؤثرة الكلمة أبعد الحدود ولربما أن رسالة الكلمة هي أقوى تأثيرا في المسامعين من ضربات المدافع وطلقات الرصاص. وما يجعلنا أكثر من أي وقت مضى نعمل بهذه النصوص الإسلامية فإن ظل تنامي الخطاب المتشدد والمنمي للصراع الذي تاجج في كل اتجاه وتطايرت شظاياه إلى كل مكان بسبب واحد هو ما عنونا به هذا المقال وهو لغة التخاطب المقنع والمفرط في حق بعضنا هذا الخطاب أراد الله تعالى تعليم أسلوبه القويم رسوله الكريم في قوله تعالى: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ» والمهم في هذا الباب توعية الخطاب الديني الذي أطل علينا اليوم بالأسلوب المتجرد عن القيم الأخلاقية والمبادئ الدعوية السامية ولا أخفيكم أني أصبت بالفاجعة عندما سمعت أحد خطباء الساحات المحسوبة على المعارضة وهو يختزل مضمون الرسالة الإرشادية السامية في كلمات وعبارات السب والقذف والتجريح عوضا عن خطاب النصح والإرشاد والموعظة الحسنة التي أرادها الله لهذا النوع من التعاملات بقوله تعالى:«ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » وكم كان الفرق بعيدا كل البعد وأنا أسمع عبارات التجريح في خطبة من يدعي العلم ويقف منتصبا على منبر الرسالة الخالدة متقدلا سنة رسوله وهو يعمق جروح المأساة باستطراده دون هوادة في سرد كلمات وعبارات القدح والذم بذكر كل ما هو قبيح في حق والي أمر المسلمين الذي الزمنا الله تعالى جميعا دون استثناء بطاعته في العسر واليسر والصبر على ولايته حتى وإن كان ظالما وعدم جواز الخروج عليه إلا إن أمر بكفر بواح، وبالله كم كانت هذه الخطبة هدامة للقيم الإرشادية والتوجيهات الربانية ويا لمرارتها عندما تصدر من المنبر التوعوي والإرشادي ومن المقام المقدس الذي يمثل عند كافة المسلمين موضع الثقة والتقدير وحتى التقديس الروحي، فإن هذا الخطاب المتشدد الذي أوصله تشدده إلى الانحراف السلوكي.. اين هو من قوله تعالى لموسى وهارون:« اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى» الا يعقل من يكون خطابه الاستهجان والسب لولاة الأمور، ما ترمي إليه هذه الآية وهي ناهر خير خلق الله موسى وهارون يتبنى خطاب لين وحكيم في وجه فرعون الطاغية أسوأ البشر، من نازع الله في ملكه وحكمه وادعى الربوبية من دون الله؟.. ذكر الإمام اللغوي في تفسيره معالم اليمان نقلا عن الإمام السري والحافظ عكرمة في تفسيرهما بهذه الآية قولهما أن الله أمر موسى وهارون أن يخاطبا فرعون بأحب اسمائه إليه ومناداته بكنيته قبل اسمه بقولهما له يا أبا الوليد وفي رواية يا أبا العباس تأليفاً لقلبه وطمعاً في إسلامه وهدايته على أساس حب الخير للناس طائعهم وعاصيهم.

فاين هؤلاء ممن يسمون أنفسهم بالدعاة من هذه الأسس الأساسية لأنماط الخطاب الإرشادي.. الا يحدون في تفسير هذه الآية مفارقة كبيرة بين ما يقولونه وما ينهجونه في خطابهم وسلوكياتهم؟ الا يدركون ولو للحظة أنهم التعامل فيما بيننا؟ هل اطماع السياسة أعمت عيون المتحزبين عن أسس الحلال والحرام؟ أم أن الغاية تبرر الوسيلة في طموحات كل من يلوي أعناق النصوص ويخرجها عن أصولها بل تجاوز التعبير والتحول عن النصوص إلى إلغائها وطمسها كليا من السلوكيات والممارسات؟

لكني أتوقع من هؤلاء أكثر من ذلك لا لشيء إلا لتقتي الكاملة في مصداقية قول الله لنا محذراً إيانا من التمادي بالأقوال والشعارات بقوله تعالى: «وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ».

وتتكامل نظرتي تألقا وإشراقا في الإعجاز النبوي المخبر والكاشف حقيقة اصحاب سهام الألسن ومتصدري الخطب التحريضية في هذا الزمان عندما كشف حديث نبوي أخرجه الامام أحمد من رواية بن عمر عندما قال عليه الصلاة والسلام «ان أخوف ما أخاف على أمتي منافقا عليم اللسان».

وفي مفردات ومفاهيم هذا الحديث قراءة مطولة ومدلولات واضحة لما نسمعه اليوم من خطب التزييف والكذب والنفاق بسلاح فصاحة اللسان وعلم أصحابها المسبق بدناءة ما يقولونه وما يبثونه من السموم القاتلة في صدور ووجوه الناس، وأدع مجالا لاستلهام مدلولات هذا الحديث الكريم للقارئ الهمام ليستخلي بنفسه مشابهة بعض أقوال وخطب التشهير والقذف والتجريح المسموعة في زمن التجرد والتبعية الحزبية القاتلة ولكم أنتم النظر والاطلاع.

الزمن لا يأتي بالأفضل

أمل عبده الجندي

ما هو حاصل في بلادنا الحبيبة إنما هي مجرد مصلحة يعرفها الداني والقاصي وليس طلباً للتغيير السليم كما يرددون فعلاً؟ حيث تداركت الأحزاب وتعارضت مدخلاتها التي تهدف كل منها إلى مشروعها الخاص وأبداً لن يكون حباً للوطن أو الشعب العاثر الذي لم ولن يعيش يوماً إلا بمجهوده رغم الصعاب ،وهذا ما يؤكد المقولة الشهيرة التي تقول «عندما تنتهي المصالح تبدأ الأحقاد» ولكن للأسف الشديد لم يختنق بهذه المصالح وأحقادها السياسية سوى الشباب الذي عرض حياته للخطر وهدر دمه على أمل أن يلقى الشهادة ويعيش أهله من بعده كراماً أجلاء ،لكن أي شهادة ونحن نتحارب مسلمين ،أين العدو بيننا وكلنا يقول « لا إله إلا الله محمد رسول الله» ،أين هو دينا الذي بات تفسيره كل لما يريد كعابر السبيل ،بل هي البلادة حقاً التي سكنت وطوت عقول من لم يدركوا أن الزمان أبداً لن يأتي بالأفضل.

أفيقوا يا شباب الأمة واعلموا أن السياسة هي للألاعيب فلا تتكلوا أمهاتكم ولا تيتموا أبناءكم ولا ترموا أنفسكم طعماً رخيصاً لمن لا يسوى ،أين هم هؤلاء الذين تريدونهم أن يتولوا أمركم غداً ،وأنتم من كنتم في أمس الحاجة إليهم بالأمس ،لماذا يناديونكم اليوم ويحنون بصدوركم المنهكة من عبء الحياة وكدرها،هل حباً أو رحمة بكم ،بل هو الطمع الذي لم يشبع جهنم.

العبادة الكاملة لا بد من اقترانها بحسن الخلق:

هؤلاء هم المفلسون يوم القيامة

● اتصل الرجل العجوز بعالم الدين في البرنامج الفضائي وسأله: ما حكم الإسلام في جاري الذي يصلي ويصوم ويتصدق أمامنا على الفقراء والمساكين ويتظاهر بالتقوى والصلاح، ولكنه زلف اللسان يسب ويرمي جيرانه بأبشع الأوصاف . . هل يتقبل الله صلاة وصيام وزكاة هذه النوعية من الناس الذين يؤذون خلق الله من الجيران ويملأ العمل بألسنتهم الفالتة وأخلاقهم السيئة؟

ما ردده الرج